أوغاريت وماري

ثانيا : العلاقات بين أوغاريت وماري والفرات في القرن الثالث عشر :

بقلم : آني كوربيه « بعثة التنقيب الفرنسية في رأس الشمرة »

تعريب وتلخيص : بشير الزهدي

عند التنقيب في (القصر الاموري) عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ . لقي (اندره بارو) عدة قبور متأخرة اقيمت في اطلال هذه المباني . وكانت معظم الدفن قد جرى في (جرار) كانت تحتوي على أثاث غني (حلي . أواني . قطع زينة) التي لم تكن سوى موضوع تقارير علمية موجزة . وقد نسب (اندره بارو) هذه المدافن الى حامية آشورية من القرن الثالث عشر ق.م .

ان العصر البرونزي الحديث النهائي - من القرن الثالث عشر - الكثير الوثائق بفضل التنقيبات في (رأس الشمرة - أوغاريت) كان وما زال غير معروف جيدا في الفرات حتى التنقيبات الحديثة التي جرت بفضل (بناء سد الطبقة) . والتي سمحت بالكشف عن مجموعة مبان متهدمة في نحو نفس التاريخ (في تل حديدي ، وتل فراي . وممباقة . ولا سيما مسكنه - ايمار) . وان المقارنة مع مواد من الموقع الاخير هذا تسمح بتقويم أفضل لفائدة هذا العصر في (ماري) . وباختيار مثال محدد (الاواني الخزفية) العديدة في (ماري) . كما في (مسكنه) وفي (اوغاريت) ، تجمع مجموعات الانتاج والتوزيع في سبيل إعادة مكانها جيدا في هذه المنطقة من الفرات في (مجموعة التجارة الدولية في سورية) .

وتتميز عدة تقنيات للصناعات والزخارف مرتبطة بأشكال نوعية . وان غيابها أو وجودها في مختلف المناطق منذ الشاطىء السوري حتى الفرات يبدو لنا ذا مدلول .

الخزف الوحيد اللون :

تجمع الفئة الاولى القطع من طينة من السيليس مصنوعة بقالب . وقد جعلت عليها طبقة خزفية واحدة ملونة بالنحاس ومتدرجة من السماوي حتى الازرق القاتم . وهي غالبا في حالة سيئة الحفظ . وان الاشكال الدارجة اكثر هي (القوارير البيضوية الشكل ذات عنق ضيق) (انظر الصورة الاولى - أ) والمطرات الكروية الشكل ذات الشفة المنفرجة والقعر المستدير . وكانت فتحتها الصغيرة لحفظ السائل الثمين (عطر . طيب) . وهناك ايضا حقات كروية الشكل ذات عنق اسطواني . وعدة فناجين صغيرة ذات مقبض ولها شكل سطل (الصورة ١ - ب) وكل هذه القطع منتشرة على نطاق واسع في

مصنوعات العصر البرونزي الحديث في الشرق الادنى القديم ، اذ أنها تشاهد في قبرص (في كيتيون ، وانكوني) ، وعلى الشاطىء السوري (في أوغاريت وتل غطشانه) . وفي حوض الفرات الاوسط (في مسكنة) وفي الاسفل (في ماري) وفي بلاد آشور (في آشور) وفي بلاد ما بين النهرين اخيرا (في اور وأوروك وتل الرماح) .

وهناك تجديد تقني خاص قد دخل هذه الفئة الوحيدة اللون ، وذلك باستخدام عجينة طينية دائرة — مما اتاح الانتاج الجماعي — جعلت عليها طبقة الخزف . وكان الالتحام متواضعا بين العجينة والطبقة الخزفية مما أدى الى تشققات . وهذه الطريقة شهدت فيما بعد تطورا كبيرا ابتداء من العصر الفرتي ، وقد ظهرت للمرة الاولى في تل غطشانة ونوزي ، وقد صنعت أوان بالاشكال نفسها في هذه المجموعة التي تحدثنا عنها وذلك بحسب هذه الطريقة (مثل قبرص وأوغاريت ومسكنه) .

ويلاحظ في حوض الفرات تقليد الاواني الرخامية الشعبية جدا في (أوغاريت) ، ولكنها غائبة في سورية الداخلية مثل اكواب بخطوط بارزة (الصورة — ٢) .

الخزفيات المتعددة الالوان :

ان صناع الشرق الادنى انطلقوا في ابداعهم بتعدد التقنيات المختلفة التي تتيح الحصول على خزفيات متعددة الألوان .

آ — يبتعد هنا بسرعة طبقات الخزف السماوي من النحاس ، مزخرفة بزخارف من خطوط سوداء (خليط من المنغنيز والحديد) وذلك بحسب طريقة مصرية في الظاهر . وهي متكررة في قبرص والشاطىء السوري الفلسطيني حيث يتوجب صنعها في مدن كبيرة تملك ايضا صناعة معدنية لا بد منها لنشاطات الخزافين ، ولا توجد في منطقة الفرات . وان النماذج في قبرص (في كيتيون — ٤ وكيتيون بامبولا) مزينة بمشاهد صيد ومآزر متقابلة . ويلاحظ تقليد زخرفي مقتبس من نقش الاختام السورية والميدية الاشورية .

ب — وان الخزفيات ذات الزخرفة المنزلة . تعود الى تقاليد مختلطة من أصل مصري أو ايجي (مثل وعاء بشكل قرن مخروطي من كيتيون ، أو جرة من كيتيون بامبولا) . وهناك نجد الصور سورية تماما . ولكن هذه القطع لا تشاهد الا على الشاطىء أو في قبرص .

ج — وهناك تقنية اخرى . تتجاوز فيها قطاعات ملونة من الخزف الاخضر الفاتح (النحاس) والاصفر (أنتيموان) والاسود (منغنيز وحديد) واستخدمت هذه الطريقة في انتاج علب او اكواب مزينة بوريقات بارزة (الصورة ١ — ج) وان النبروز يسمح بعدم خلط الطبقات الخزفية . وان هذه القطع متكررة جدا في قبرص وعلى الشاطىء السوري الفلسطيني ولا سيما في (أوغاريت) وكذلك في (مسكنه) و (ماري) بل وفي بلاد ما بين النهرين . وبحسب هذه الطريقة ، فان بعض الاشكال المستوحاة من العالم الميسيني (مثل اوان بمقبض) تبدو شعبية في قبرص وأوغاريت ولكنها لا توجد في منطقة الفرات .

وبنفس الطريقة دائما ، صنعت قطع استثنائية مزينة بمجموعة أشخاص في عربة (أوغاريت) ، وأوان مصورة بشكل رؤوس حيوانات (بقر في أوغاريت ، حصان في تل ابو حوام أو في انكومي) أو بشكل وجوه نسائية . وان هذه الاقداح — ذات مظهر مزخرف يتعرف فيها على مرجع الى ربات نسائية للخصب — مؤكدة في قبرص وعلى الشاطىء السوري الفلسطيني (في أوغاريت وتل ابو حوام) بل وفي آشور ، مع تنوعات في ايران الشمالية الغربية . وهناك الاقنعة المدلاة من الخزف مزينة بطبقة خزفية بمختلف الالوان ، ومنزلة بالقار والصدف ، قريبة جدا من ناحية التقنية . وكان لهذه القطع نطاق توزيع واسع نسبيا . وان النموذج المكتشف في مكانه على رقبة امراة في قبر في (ماري) اتاح منحه رمزية قريبة من رمزية المدليات الى ربة عارية ، والى نجمة معدنية ثمينة .

د – واخيرا ، هناك طريقة اخرى للخزف المتعددة الالوان وذلك بتطبيق الوان دقيقة من طبقة الخزف في حالة لزجة على ارضية واحدة لتشكيل زخارف نباتية او هندسية . ونعرف نماذج منها في (ماري) و (مسكنه) . ويبدو ان هذه الطريقة محفوظة لبلاد ما بين النهرين (في اوروك) وحوض الفرات الاوسط (في ماري ومسكنه) .

ان بضعة أمثلة هذه مأخوذة من فئة محدودة من مادة ترف نسبيا ، وان مظهرها اللامع احيانا يحقق لها النجاح في التصدير ، ومن المحتمل ان تكون قد تنقلت كثيرا . وبدون شك ، يمكن توسيع ميدان المقارنات الى نماذج أخرى من القطع لبيان أهميتها في عصر ماري الذي بقي للدراسة . وهذه الشواهد تظهر غنى قبور ماري ، ووجود اثاث نسائي من الترف يفترض اكثر من فرضية وجود حامية بسيطة وتظهر كيف أن (ماري) التي ربما كانت وقتئذ قدضمت الى (مملكة سوهي) – هي دائما مفتوحة للتجارة الخارجية من بابل وآشور مع بقائها متأثرة بابداعات الشاطىء السوري ولا سيما (اوغاريت) مدينة التعدين الهامة ، وبدون شك المركز الكبير لانتاج الخزف في العصر البرونزي الحديث. ان هذه العلاقات بين (اوغاريت) و (ماري) في القرن الثالث عشر ق.م تدل عليها هنا الحضارة المادية . ويمكن ايضا دراستها في الحضارة المكتوبة ، كما تظهر ملاحظات (آرنود) و (بوردرويل) بصدد نصوص وجدت في اوغاريت .

آني كوبيه

(بعثة التنقيب الفرنسية في رأس الشمرة)

★ ★ ★